

الرسول صلى الله عليه وسلم هو النور والسراج

ثالثاً: الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو النور والسراج المنير فاما قوله: [وحكمو بکفر من وصفه بأنه نور، وغاب عن هؤلاء الحمیر بأن الله قد وصفه بالسراج المنير بصيغة المبالغة، بمعنى أن الله -عز وجل- يمد بواسطته كل من أراد هدايته بالأنوار والأسرار.. إلخ]. جوابه: أن يقال: متى حكمنا بکفر من وصفه بأنه نور؟! أين نصوص علماء الدعوة في ذلك؟! هذا من الكذب الصريح والبهتان المبين، بل هم متبعون لما وصفه الله به من ذلك، كما في قوله تعالى: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ }. قال أبو جعفر بن حرير الطبرى -رحمه الله- في تفسير هذه الآية من سورة المائدۃ: يعني بالنور: صلی الله عليه وسلم -الذي أنار الله به الحق وأظهره بالإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استثار به بين الحق، ومن إنارتنه الحق تبيينه لليهود كثيراً مما كانوا يخونون من الكتاب تفسير الطبرى: 10/143 . لكن لا يلزم من هذا الوصف أن يُصرف له شيء من حق الله، فلا يدعى مع الله، ولا يُعطى كتعظيم الله، ولا يوصف بشيء من خصائص الله، فقد ثبت عنه -صلی الله عليه وسلم- أنه قال: { لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله }. ولما قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: { أجعلتني لله ندا، قل: ما شاء الله وحده }. وقال: { ولا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء محمد } رواه أحمد 5/72، عن الطفيلي أخي عائشة لأمها . وذلك لأن الواو تقضي المساواة بين المشتتين مع أن مشيئة المخلوق لا تحصل إلا بعد مشيئة الله، كما قال تعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } ثم إنه -صلی الله عليه وسلم- هو أفضل الخلق وسيد ولد آدم ومع ذلك لما قال له وفدبني عامر: أنت سيدنا. قال: { السيد الله } قالوا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. قال: { قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهويكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله -وفي لفظ- عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله } . فهكذا كان يؤدب أمنه: سيما ضعفاء الإيمان، أو حدثاء الإسلام، مخافة أن يقعوا في الغلو الذي يحيط بالأعمال، فنحن نعتقد أنه -صلی الله عليه وسلم- هو النور والسراج المنير، وهو أفضل الرسل وخاتم الأنبياء وسيد الخلق، والشفيع المشفع في يوم القيمة، وهو صاحب لواء الحمد، وله المقام المحمود، والحضور المورود، ولكن حقه على أمنه أن يؤمنوا ويصدقوا بأنه مرسل من ربها، وأنه قد أنزل عليه الوحي وهو هذا القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد أمر الله تعالى بالإيمان به ويرتب عليه الثواب، قال الله تعالى: { قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَتْنَا } و قال -عز وجل- { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُوتِكُمْ كَفَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَبَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْسُونَ بِهِ وَبَعْفَرْ لَكُمْ } و قال تعالى: { قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي أَمْمَى الْأَمْمَى الَّذِي يُؤْمِنُ يَالَّهِ وَكَلِمَاتِهِ } فالإيمان به يقتضي تصديقه، واعتقاد رسالته، وصحة ما جاء به عن ربها، وصدقه في كل ما بلغه عن الله تعالى، مما يستلزم طاعته والسير على نهجه واتباعه في ما جاء به، وما فعله على وجه التقرب والسنن. وقد علق الله على اتباعه: الإهداء، ومحبة الله، وغفران الذوبان؛ حيث قال تعالى: { وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } . وقال تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَبَعْفَرْ لَكُمْ دُنْوِيَكُمْ } . وهذه هي آية المحنة، فإن أدعياء محبة النبي -صلی الله عليه وسلم- كثیر، فمن كان صادق المحبة فإنه يحرص على اتباع هدي محمد -صلی الله عليه وسلم- ويطبق تعاليمه ويتخذه أسوة وقدوة حسنة، ويحرص كل الحرص على امتناع كل ما جاء عنه -صلی الله عليه وسلم- من الإرشادات والتعليمات، فيتمثل الأوامر ويبعد عن التواهي والزواج، ويقلده -عليه الصلاة والسلام- في أفعاله وسنته، غير مبال بمن خالقه من أهل زمانه، ويصبر على ما يوجه إليه من المقت واللوم والعدل، والتقصص والرمي بالتشدد والتزمت، أو الغلو في الدين أو نحو ذلك، كما يحصل من أغلب الناس مع القائمين بخصال الفطرة، والمتزهفين عن الشبهات، من معاملات ربوية، أو مشاهدة أفلام، أو صور خليعة، أو أغاني فاتنة، مع تصريح أولئك المستهتررين بمحبة الرسول -صلی الله عليه وسلم- والتصديق برسالته، وكأنهم يعتقدون أن صدق محبته إنما يتمثل في الإطراء ومدحه بما لا يستحقه إلا الله، وإشراكه مع ربها في الملك، أو إعمال المطهى إلى قبره، ثم الهاتف، ورفع الصوت بدعائه، وطلب العاجات التي لا يقدر عليها إلا الله، وقد يتعلقو بحكايات مكذوبة، أو أحاديث لا أصل لها، كقولهم: "إن الله قال له: لو لاك ما خلقت الكون، أو ما خلقت الأفلاك" هذه الأحاديث باطلة وم موضوعة وهي من الأكاذيب. وانظر تفصيل الكلام على هذه الأحاديث كتاب التوصل أنواعه وأحكامه للعلامة المحدث الألباني صفة: 126-113، فيه كلام نفيس، مع بيان مخالفته هذه الأحاديث للقرآن . وكقولهم: "إن الله قال لآدم لو لا محمد ما خلقتك" هذه الأحاديث باطلة وم موضوعة وهي من الأكاذيب. وانظر تفصيل الكلام على هذه الأحاديث كتاب التوصل أنواعه وأحكامه للعلامة المحدث الألباني صفة: 126-113، فيه كلام نفيس، مع بيان مخالفته هذه الأحاديث للقرآن . ونحوها من الأكاذيب التي بنوا عليها وصفه -صلی الله عليه وسلم- بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، وكل ما في الكون، وأنه يملك الدنيا والآخرة، فيعطي ويمعن، ويسعد ويشقي، وبهدي وبصل، وهو مع هذا يخالفون سنته الثابتة: كما في حلق اللحى، وإطالة الشوارب، وشرب الخمر، وإسبال اللباس، وتعظيم العصاة، وموالاة الكفار، ونحو ذلك مما هو عين المحابة والمخالفة لسنته -صلی الله عليه وسلم- وكل ذلك من تسويل الشيطان؛ حيث دعاهم إلى الغلو فيه من بعض الجهات، وإلى مخالفته سنته من جهات أخرى. فهذه إشارة إلى بعض أعمال هؤلاء الأقوام، الذين سمي ممثلهم علماء الإسلام وأهل التوحيد بالوهابية، وجعلهم بمنزلة الحمير، وكأنه بهذا الوصف يشير إلى مثال اليهود الذي ذكره الله بقوله: { كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْقَارًا } . لكن هذا المثل ينطبق على هذا الكاتب وأضرابه الذين يقرءون القرآن، وتمرّ بهم أحاديث النبي -صلی الله عليه وسلم- وفيها النهي عن دعاء غير الله، كقوله: { قَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَخْدَادًا } . وكقوله: { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَصْرُكَ } . وقوله: { وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِصُرُّ قَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ قَلَا رَازٌ لِفَضْلِهِ } . ثم يخالفونها صريحاً، فهم أقرب إلى الشبه بالحمار الذي يحمل أسفاراً، والله المستعان.